# الباب السابع

# حماس وإيران

يعود تاريخ العلاقات بين حماس وإيران إلى بداية التسعينات، حيث أقامت إيران علاقات قوية مع الحركة وفي أعقاب إبعاد 415 ناشطًا من نشطاء حماس والجهاد الإسلامي من إسرائيل إلى لبنان، بدأت إيران في تقديم المساعدة المالية واللوجستية إلى الحركة والمساعدة الإيرانية لحماس اتسعت اتساعاً كبيراً في أعقاب سيطرة الحركة على قطاع غزة في عام 2007 واعتبرت إيران حكم حماس في قطاع غزة أداة مهمة لإدارة الصراع المسلّح ضد إسرائيل، ووسيلة لزيادة تدخلها وتأثيرها في الساحة الفلسطينية في إطار سعيها إلى الهيّمنة على المنطقة ومنذ 2007 قامت إيران بدعم حماس عسكرياً ومالياً، ووصل هذا الدعم إلى مئات ملايين الدولارات سنوياً إلى جانب الدعم والمساندة السياسية والإعلامية.

ومنذ بدء النفوذ الإيراني في الأراضي الفلسطينية، تداخلت في تشكيله متغيرات عديدة يمكن تحديدها في:

1- التنافس على قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، في ضوء تراجع قوى عربية داعمة .

2- رفع وتيرة التدخل الخارجي في القضايا الإقليمية، واعتبارها المصدر الأساسي للاستقرار والتوتر في المنطقة على حد سواء.

3- التغطية على الاختلافات المذهبية بين الشيعة والسنة، في ضوء

الحملة التي ترعاها جهات عربية وإسلامية تحمل كلا المذهبين، وتتنافس على الساحة السياسية في الأراضي الفلسطينية.

4- تقود إيران معركة برنامجها النووي مع الدبلوماسية الغربية ومجلس الأمن،مستخدمة كل الأوراق لإدارتها، ودون أن تتخلى عن قرارها باستمرار هذا البرنامج، واستكماله.

ومع ذلك، فإن قراءة فاحصة في واقع النفوذ الإيراني في القضية الفلسطينية، من خلال القوى المسلحة، تشير إلى أن حسابات المصالح الوطنية والقومية تداخلت مع تأثير التدخل الخارجي، بحيث لم يقف الاختلاف المذهبي، السني والشيعي، عائقاً أساسياً أمامها.

ويشير إلقاء نظرة علمية دقيقة على نفوذها، إلى عدم طموحها لتوسيع مساحة أراضيها، بل تقليص الخلافات الموجودة حالياً مع العالم العربي؛واستغلاله لتوسيع نفوذها، بتمسكها بورقة القضية الفلسطينية، ودعم المقاومة المسلحة ضد إسرائيل، ليمنحها شيكاً على بياض، وبوليصة تأمين أمام الرأي العام الفلسطيني وفي ضوء أن طهران قوة إقليمية، تسعى لتكريس دورها ضمن النظام الراهن، فقد جعل ذلك من سياستها الخارجية ناشطة وطامحة وقائمة على عدة ركائز، كدعم الجماعات الفلسطينية المسلحة، وصولاً منها لكسب ود الرأي العام العربي في سبيل تطويق عداوة الأنظمة العربية لها، وهي ركائز تتأثر كل منها بعدة عوامل تعزز قوتها، وترسم حدوداً لها في الوقت نفسه.

وطالما سعت إيران لاستغلال الرأي العام الفلسطيني، ونجحت في بعض الأوقات، فضلاً عن دعمها للقوى المسلحة، لأنه قوة موجهة مهمة في مشروع بسط وتمدد سيطرتها الإقليمية، ولذلك فهي توظف الإعلام المحلي والعالمي، كقناة العالم الفضائية الناطقة بالعربية، لإظهار نفسها بصورة رائدة التحديات الشعبية،وبطلة القضية الفلسطينية وحليفة الفلسطينيين، وضحية المعايير الغربية المزدوجة الخاصة بالبرنامج النووي إلا أن دراسة المآخذ الإعلامية والإحصاءات الخارجية تظهر أن الدعم الفلسطيني الشعبي لإيران لم يحسم حتى الآن، إلى ما قبل اندلاع الثورة السورية،لأن هناك الكثير من الحالات التي قفز فيها بسرعة قياسية من التأييد إلى النقد،استناداً لأحداث خارجة عن سيطرتها ،ومرتبطة بأخطائها الإستراتيجية،لاسيما الخوف المنتشر في أوساط الفلسطينيين والعرب من مطامع هيمنتها الإقليمية،وتزايد التوتر الطائفي في العراق، واستهداف الفلسطينيين هناك بزعم دعمهم للرئيس السابق صدام حسين، والنمو السياسي الشيعي في المنطقة.

لكن الحرب الأهلية في سوريا تسببت فى حالة من القطيعة بين إيران وحماس فالانتفاضة في سوريا، التي تعتبر حليفة استراتيجية ومهمة لإيران في العالم العربي،أثرت تأثيراً سلبياً على تماسك معسكر المقاومة بقيادة إيران ففي الوقت الذي زادت فيه إيران من تدخلها في سوريا، وقامت بدعم نظام الرئيس الأسد، تعاملت حركة حماس مع الموقف

بصورة معاكسة وأعلنت عن دعمها للمعارضة السورية وفي شهر مارس عام 2012 أعلن قيادي من حماس في قطاع غزة، هو صلاح البردويل، في مقابلة مع صحيفة الجارديان البريطانية،أن الحركه لا ترغب في التدخل في حال اندلعت حرب بين إسرائيل وإيران وقبل تصريح البردويل بأسبوعين في الجارديان البريطانية،وجّه رئيس وزراء حماس في القطاع،اسماعيل هنية،انتقادات لاذعة ضد طهران معلنًا دعمه لمعارضي الرئيس السوري وانتقادات هنية لطهران جاءت من على منبر جامع الأزهر في القاهرة ووسائل الإعلام الإيرانية اعتبرت موقف حماس في أعقاب هذه التصريحات التي تتضارب مع المواقف الإيرانية خطأ استراتيجي،وحذرت وسائل الإعلام الإيرانية قيادات حماس من أن السياسة التي يتبعونها تؤثر بصورة كبيرة على مكانة الحركة في إيران، وتضحي بإنجازات المقاومة العسكرية في سبيل وعود كاذبة من جانب قيادات دول الخليج.

خيبة الأمل الإيرانية من مواقف قيادات حماس، كان يمكن ملاحظتها بوضوح في رد طهران على حملة عامود السحاب في غزة عام 2012 حيث أن مسؤولين إيرانيين أشاروا في ردودهم على حملة عامود السحاب إلى أنها انتصار للفلسطينيين وأنها إذلال للإسرائيليين، لكن وسائل الإعلام الإيرانية استغلت هذه الفرصة من أجل تصفية الحساب

مع قيادات حماس والطلب من تلك القيادات إعادة النظر في السياسة التي يتبعونها وبعد وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس بساعات قليلة ، نشرت صحف إيرانية مقالات وتحليلات وجهت انتقادات ضد قيادات حماس بسبب سياستهم التي وصفت بالخائنة تجاه إيران وفي تقرير نُشر في موقع التيار المحافظ في إيران تشارت نيوز تحت عنوان سيد مشعل، سيد هنية، أين قطر، أين تركيا؟ دعا التقرير قيادات حماس إلى تعلم الدرس من المساعدات التي قدمتها إيران للحركة خلال القتال، وحقيقة خيانة الدول العربية لها وأن تعود إلى جبهة المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل.

سقوط حكم الإخوان المسلمين في مصر أعاد تجديد الأمل لدى طهران فى إمكانية إعادة ترميم العلاقات مع حركة حماس فإيران التي تواجه تحديات استراتيجية حقيقية في الساحة الإقليمية والدولية معنية بإعادة العلاقات مع حركة حماس إلى ما كانت عليه سابقاً فتطورات السنوات الأخيرة في العالم العربي، وتراجع قوة النظام السوري وتصاعد الخلافات بين إيران ودول الخليج، هذه التطورات جميعها تؤثر سلباً على قدرة إيران علي التأثير فى ما يجري في المنطقة واستئناف العلاقات مع حماس يمكن أن يسمح لطهران بالعودة من جديد إلى دائرة التأثير في قطاع غزة، وزيادة تأثيرها في الساحة الفلسطينية بالإضافة إلى إعادة

تقوية وتماسك معسكر المقاومة تحت قيادتها وحماس من جانبها، تدرك مدى احتياجها لإيران أكثر من أي وقت مضى، سواء من الناحية المالية أو العسكرية، بعد أن فقدت الحركة الدعم الاستراتيجي الذي كانت تحصل عليه من مصر بعد سقوط نظام الإخوان.

صحيح أن التقاء المصالح بين إيران وحماس يخلق فرصة للتقارب من جديد بينهما، لكن من الصعب أن يكون هذا الالتقاء في المصالح كاف من أجل ردم الهوة بين مواقف الطرفين فاختلاف الآراء والمواقف بين إيران وحماس بسبب الأزمة السورية سيستمر في المستقبل القريب كما أن أي تقارب مع إيران قد يؤثر سلباً على علاقة حماس مع تركيا وقطر، خاصة وأن الحركة حريصة على المحافظة على تلك العلاقات كما أن تقارب حماس مع إيران قد يزيد من حالة التوتر في العلاقة بين حماس والنظام المصري الجديد وأيضاً قد يؤثر سلباً على صورة الحركة في الساحة الإقليمية والدولية ففي الوقت الذي تحاول وتسعى فيه إيران إلى إعادة حماس إلى معسكر المقاومة، ترى أن هناك أهمية كبيرة لحفاظها على حرية العمل ومن المستبعد أن تكون حماس على استعداد للموافقة على احتضان إيراني بشكل يضر باستقلال نشاطها لكن، من غير المستبعد أن يكون هناك تقارب إيراني ـ حمساوي، لكن هذا التقارب سيمتاز بالبطء والتدرج وستعمل حماس على المحافظة على حرية

عملها ونشاطها وستسعى إلى تحسين علاقاتها مع عناصر قوة أخرى في المنطقة كتركيا وقطر.

أوجه الدعم الايرانى لحماس

ترى إيران أن دعمها للحركات المسلحة الفلسطينية، لاسيما حماس، ليس مفاجئاً، أومرتبطاً بتحقيق أجندة إقليمية آنية، بل له جذور تاريخية، تعود لما قبل اندلاع الثورة الإيرانية عام 1979، التي شهدت تزايد الدعم السياسي والإعلامي، حيث أن مرشدها الخميني بادر لتحويل السفارة الإسرائيلية زمن الشاه، إلى سفارة للثورة الفلسطينية، وامتلك علاقات وثيقة مع الزعيم الراحل ياسر عرفات أوائل سنوات الثورة.

وبعد ظهور الحركات المسلحة،لاسيما ذات الطابع الإسلامي العقائدي، برزت أوجه الدعم الإيراني لها، بحيث يمكن تفسيره على أنها لا تنوي التخلي عما تعتبره موقعها المتقدم في الوطن العربى، ولذلك أخذ دعمها للفلسطينيين، وتحديداً حركة حماس الأشكال التالية:

الدعم المالي

أكدت حماس في أكثر من موضع،أن التشكيل الابتدائي المالي الرئيسي لها،كان وما زال عربياً شعبياً بامتياز،ولم يكن لإيران أي مساهمات فيه، بل غذي بشكل كامل عبر مساهمات القطاع الخاص في دول الخليج والمحيط العربي، مما مكن الحركة وهياكلها من إشباع حالة

الاستقلال التام في اتخاذ القرار، وبناء بوصلة حرة أبعدتها عن التبعية لصاحب التمويل.

ومع ذلك، تشير الوقائع الميدانية، بالاستناد لتقارير أمنية إسرائيلية وغربية، أن طهران كانت تمول بشكل أساسي حركة حماس، لاسيما بعد تشكيل حكومتها عام 2006 بميزانيات سنوية ثابتة، إضافة لدفعات لمرة واحدة في حالات خاصة، بملايين الدولارات، مقابل خدمة أجندتها السياسية ومخططاتها الإستراتيجية.

وفي ظل الحصار الدولي المفروض على حماس، واتهامها بالإرهاب، ومحاصرة وجودها، ومصادر إمدادها، وحرمانها من الانفتاح السياسي والدعم اللوجستي، وإغلاق كثير من العواصم في وجه تحركها، واتباع عواصم أخرى سياسة التجويع من أجل التركيع حسب تعبيراتها، دفعها ذلك لطرق أبواب أخرى كإيران، إبقاءً لجذوتها، ودعماً لوجودها.

فوجدت متنفساً لها في مواقف بعض الدول، كإيران، فتعاملت معها كما تقول على أساس المصلحة الفلسطينية بالحفاظ على تميز التجربة الديمقراطية،واحترام نتائجها وإفرازاتها،ورحبت بمساعدتها،وفك الحصار المالي على حكومتها المنتخبة، بل إن حماس رأت في الدعم المالي الإيراني واجب ديني وأخلاقي تجاه القضية والمقدسات، وليس منّة منها،طالما أنه يأتي في إطار الظرف الضيق، الذي يستدعي نسج علاقات، وتحالفات تساعد على إضعاف العدو، وغرس شوكة جديدة في

ظهره ومع ذلك، فقد ظهرت بوادر ضائقة مالية تمر بها حكومة حماس، بسبب توقف الدعم المالي لإيران،لخلافهما حول الثورة السورية الدائرة، ففي حين أرادت الأولى دعماً واضحاً من الثانية للنظام في دمشق، إلا أن الحركة وجدت في ذلك مخالفة لموقفها الدائم المتمثل فى عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول، ورغبة منها في عدم خسارة المشاعر الشعبية والإسلامية المؤيدة لها ومع ذلك، فقد عوقبت على موقفها هذا، وجمدت طهران دعمها المالي للحركة،مما يشير إلى أن هذا المال الإيراني هدف من تقديمه تشكيل أحلاف،وهو ما لم تقبله حماس، رغم علمها الوثيق بأنه لا يوجد مال بدون ثمن، بحيث يسعى من يدفع المال لأن يفعل، وألا يكون ماله المقدم بدون ثمن، لكن المسألة ليست متعلقة بذاته بقدر ما هي متعلقة بالطرف الآخر.

الدعم العسكري

رغم أن إيران اعتادت على التعتيم،أوإنكار الطابع العسكري التنفيذي للمعونات التي تقدمها للمنظمات الفلسطينية، وعرض المساعدات على أنها سياسية وإعلامية وإنسانية، لكنها تقوم بتدريب المئات من المسلحين الفلسطينيين على القتال في إطار الحرس الثوري، وتزويدهم بأعداد كبيرة من القذائف الصاروخية،التي تطلق على المستوطنات الإسرائيلية.

ويعمل فيلق القدس على توفير الصواريخ المتطورة المصنعة، كبنادق

القنص والأسلحة الأوتوماتيكية والراجمات، وتزويدها بقدرات تركيب المواد الناسفة بصورة ارتجالية مطورة ضد الآليات المدرعة، وبناء واستعمال تقنيات العبوات الناسفة الذكية، وقد عثر على العشرات منها بأيدي مقاتلي حماس في غزة، وهي عبارة عن عبوة جانبية من نوع شواظ 4ذات قدرة على الاختراق لما يزيد عن 200 ملم من الفولاذ، كثمرة للتطوير الإيراني، حيث زودتها بخبرات تقنية لتصنيع العبوات الناسفة الفتاكة.

وقد أشار مركز المعلومات والاستخبارات الإسرائيلية المقرب من جهاز الأمن الداخلي الشاباك، إلى مميزات المساعدة التي تقدمها إيران لحماس، المتمثلة في نواة نوعية لآلاف النشطاء، تلقوا دورات تأهيلية متطورة في مختلف التدريبات العسكرية، ونقل المهارات التكنولوجية، المستخدمة في إنتاج وسائل القتال، كالعبوات الناسفة والصواريخ وفي حين تمر شبكة تهريب السلاح الإيرانية الضخمة المتبعة منذ سنين باتجاه غزة، عبر الصومال والسودان والبحر الأحمر، ومسارات بحرية في النيل إلى القبائل البدوية في سيناء، التي تستعمل نظم رشوة تحبط قدرة جهاز رقابة الشرطة على وقف التهريب من مدينة رفح، فإن الطريق الموصلة من غزة إلى إيران، تتمثل فى مغادرة نشطاء حماس وباقي الفصائل للقطاع، في طريقهم إلى مصر، ومن هناك يسافرون عن طريق الجو إلى سوريا، ثم يواصلون سيرهم نحو طهران، ويسمح لهم

عند دخولهم وخروجهم من هناك، عدم التوقيع على جوازات السفر لأسباب أمنية، وإخفاء حقيقة خروجهم لتلقي التدريبات هناك .

فيما أوضحت المراسلة البريطانية ماري كولفين خلال تحقيق ميداني لها في غزة، نشرته في صحيفة صانداي تايمز بتاريخ 2008/3/9، أن نشطاء حماس يمارسون تدريباتهم وتمريناتهم في إيران خلال مدة زمنية تتراوح بين شهر ونصف إلى 6 أشهر، وتتم في قاعدة عسكرية مغلقة، وفي ظروف قاسية، ثم يسمح لهم بالذهاب للعطلة مرة واحدة أسبوعياً،ضمن مرافقة أفراد الأمن الإيرانيين، وتم إرسال العشرات منهم هناك لتلقي الدورات،حيث يمكث المتفوقون في كل دورة فيها فترة إضافية من الزمن، يتلقون خلالها دورات متطورة، ثم يعودون إلى غزة ليعملوا مرشدين .

وقد حصل الباحث على معلومات متواترة لم يتم التأكد منها، تشير إلى أن التدريبات العسكرية لمقاتلي حماس في طهران لم تعد تفيدهم كثيراً، وأن الحرس الثوري الإيراني لا يقدم لهم كل ما يرغبون فيه من تمرينات متقدمة وتأهيل متطور، يوازي ما يقدم لنظرائهم من حزب الله، مما يشير بصورة لا تقبل الشك أن النظرة الإيرانية لحماس بعيدة كلياً عن اعتبارها ذراعاً عسكرياً متقدماً لها في المنطقة .

ورغم أن إيران لا تتمتع بسيطرة تامة على حلفائها في غزة، وعلى رأسها حماس، بعكس الوضع لدى حزب الله، لكنها حرصت على تزويدها

بالدعم العسكري،لإعطائها عمق استراتيجي،بتزويدها السلاح لأطراف متعددة داخل معسكر العدو، وتأمينها لشرعية في الشارع العربي،لتبدو أكثر عروبة من العرب أنفسهم، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، كما تنتظر عبر دعمها للحركات المسلحة في غزة الحصول على مقابل، في حالة حدوث هجوم إسرائيلي عليها، وتتوقع أن تسخر نفسها لخدمتها، بمشاغلة العدو،وفتح أكثر من جبهة عليه في آن واحد، مما يخفف الضغط العسكري على الدولة الأم.

الدعم السياسي والمعنوي

ودرج الخطاب السياسي الإيراني على توجيه رسائل دعم ومساندة للقضية الفلسطينية، وإدانة ورفض كل أشكال القمع والحصار الإسرائيلي المفروض على الفلسطينيين في غزة، دون أن يزيد ذلك في حدته عن مستوى خطابات حماس، وشعارات التعبئة، لاعتبارات سياسية بحتة وقام رئيس الحكومة في غزة إسماعيل هنية بزيارة إيران بين يومي 7-2006/12/11،والتقى مع كبار مسئوليها، كالمرشد علي خامنئي والرئيس أحمدي نجاد، واعتبرت بمثابة رسالة واضحة إلى اعتماد حماس على ما يعرف في الغرب وإسرائيل بمحور الشر، واستغلت زيارته للتأكيد بصورة واضحة وجازمة على المبادئ الأيديولوجية والخطوط الأساسية، مصرحاً دون الحاجة للموارية ،أن حماس لا تنوي التراجع عن مبادئها،وفي مقدمتها رفض الاعتراف بإسرائيل، وتبني

طريق العمل المسلح وسيلة للقضاء عليها، والرفض التام لطلبات اللجنة الرباعية، مما لقى ارتياحاً لدى حكام طهران ثم جاءت زيارة خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس إلى إيران،ليتم التركيز عليها في وسائل الإعلام، ونشرت الصحف الكبرى صور مصافحته لنجاد، لتصويرها على أنها تحالف ناشئ بينهما.

لكن العودة إلى أيام الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة بين يومي 2009/1/18-2008/12/27، تذكر بما أكده خبير عسكري إسرائيلي كبير بأنها شكلت لطهران كارثة إستراتيجية، ليس بسبب القتل بين الفلسطينيين، أو الأزمة الإنسانية، ولكن لأنها أدركت حينها أن استثمار سنين في غزة أصبح ركاماً، بفعل قنابل سلاح الجو الإسرائيلي المدمرة لما تبقى من مستودعات السلاح والبنى التحتية هناك، مما يعني أنها هددت بنقض أحد المواقع المهمة التي بنتها في المنطقة العربية، بل إن مشروعها المتقدم داخل المجتمع السني يحترق.

ورأى قطاع عريض من الساسة الإيرانيين في الحرب جزءً من مقاومة إسرائيل، مما قد يفسر فحوى الرسائل التي انتقلت خلال الحرب من طهران إلى غزة قاطعة لا لبس فيها: لا تتنازلوا،استمروا في الصمود، سنوقفكم مرة أخرى على أرجلكم، وقد أعدنا لحزب الله قوته السابقة، بل ضاعفناها بعد وقت قصير من حرب لبنان، وستحصلون في غزة على العناية نفسها،بتعبئة مخازن السلاح من جديد .

ووجدت إيران في الحرب مناسبة لاكتساب أرضية جديدة على حساب خصومها من الدول العربية، بتوجيه انتقادات واتهامات لاذعة لها بسبب مواقفها، والضغط على قيادات حماس في الخارج، حيث زار علي لاريجاني رئيس مجلس الشورى وسعيد جليلي الأمين العام للمجلس الأعلى للأمن القومي، العاصمة السورية، والتقيا بقيادات حماس خلال الأسبوع الأول من يناير 2009، لرفض مبادرة وقف إطلاق النار، والعودة للتهدئة، انتظاراً لنضج الظروف التي تتفق مع مصالح إيران في المنطقة، واختبار ما ستقدم عليه الإدارة الأمريكية من مبادرات تجاهها

ومع ذلك، أثار الدعم الإيراني لحماس خلال حرب غزة، ومدح قياداتها ومسئوليها لطهران على دعمهم لها، تساؤلات عديدة تزايدت مع تنامي الهواجس الأمنية للأطراف المعادية لإيران،لاسيما حين أثنى مشعل عليها لدعمها للحركة، قائلاً: إن للحكومة والشعب الإيراني دور كبير في انتصار الحركة في قطاع غزة، وهو كلام يطرب مسامع طهران لأنه يمنحها شرعية عربية إقليمية تتراجع أمامها مئات الملايين من الدولارات المدفوعة،رغم أن هذا الدعم أثار كلاماً عالي المستوى مفاده: هل لدى إيران الشيعية رغبة فى تحسين علاقاتها مع الجماعات الإسلامية السنية،تماشياً مع سياستها لتدعيم قوى الممانعة في المنطقة، وفي إطار حملتها لتقويض الدور الإقليمي لبعض الدول الصاعدة.

**الدعم الإعلامي**

**اجتهدت وسائل إعلام حماس قبل البرود الأخير، في الابتعاد عما يغضب طهران، حتى لو تعلق الأمر بخلافات إيرانية عربية، وإبراز الجوانب المضيئة لسياستها في المنطقة، لمحاولة تقريبها من الرأي العام العربي والفلسطيني، فإن إيران من جهتها رحبت بانتصار حماس في انتخابات 2006، وتشكيل الحكومة برئاستها، وزادت من وتيرة لقاءات التنسيق مع ممثليها في المستويات المختلفة وقد وجه المستشار السياسي السابق لحكومة غزة، دعوة للرئيس الإيراني نجاد لزيارتها، ورغم صعوبة وصوله عن طريق البحر المتوسط لسيطرة إسرائيل على الساحل، فقد جعلها ذلك فرقعة إعلامية، والزعم بأن حماس تلعب لعبة التحدي مع الإقليم العربي والمجتمع الدولي الناظر بعين الريبة والشك لأبعاد وآفاق تحالف غزة وطهران، وقوبلت الدعوة بانتقادات واسعة في وسائل الإعلام المصرية ضدهما، في تعبير هو الأوضح عن خشية القاهرة من تحويل القطاع إلى كيان إسلامي متأثر بطهران.**

**كما لوحظ تواجد إيراني كبير نسبياً في ملتقي القدس الدولي بمدينة اسطنبول في 2007، بمبادرة من مؤسسة القدس الدولية المقربة من حماس،بتوفر الملصقات والبوسترات، وتكرر الحضور في المؤتمر الوطني الفلسطيني،الذي دعت إليه حماس، وشهد إعطاءها حجماً كبيراً بل إن خالد مشعل رئيس مكتبها السياسي، في قاعة حفلة زفاف ابنته في**

دمشق، مازح السفير الإيراني الضيف بعبارة شيخ المقاومين، وقد وافق مركز تطوير السينما الوثائقية والتجريبية في إيران على إنتاج فيلم الشيخ ياسين كأول فيلم مصري إيراني فلسطيني مشترك، على أن يتم إنتاجه باللغتين العربية والفارسية.

## حقيقة التشيع فى غزة

رغم أن موقف حماس تجاه إيران ينطلق من رؤية سياسية بحتة، بغرض فك الحصار عنها، ودعم الشعب الفلسطيني، وتقوية جبهته الداخلية، فقد أثيرت أسئلة عديدة حول حرص الأخيرة على هذه العلاقة، وهي تعلم أن الأولى لا ترحب بمواقفها العقائدية، وتعارض نشاطها في نشر المذهب الشيعي، مع العلم أنها لم تكتف من نفوذها في غزة بالمواقف السياسية، بل لتحقيق جملة من الأهداف والغايات، ومنها نشر مذهبها بشكل مكثف، عبر مقالات خطيرة في صحف مقربة من الجهاد الإسلامي تتعرض لبعض الصحابة، وبث إذاعة صوت القدس أفكاراً تشجع على التشيع، وحديث الجرحى المرسلين للعلاج في إيران، عن ضغوط يتعرضون لها لاعتناق المذهب، وتأسيس الجمعيات التي تقوم بالتبشير الشيعي لكن الإنصاف يتطلب الإشارة إلى رفض حماس عرضاً إيرانياً بتمويل إنشاء مستشفى في غزة،لأنها طلبت أن يكون باسم مستشفى الخميني، كما رفض هنية متابعة الشيعة في صلاتهم خلال زيارته طهران.

## حماس وإيران.. صعود وهبوط العلاقات

شهدت علاقات حركة حماس بإيران خلال السنوات الماضية تطوراً نوعياً، غير مسبوق في حجم تفاعلاتها، وسرعة توثيقها، في ضوء المصالح المشتركة لكلا الجانبين في تنميتها ورفع مستوياتها، وقد شمل ذلك الأصعدة السياسية والإعلامية والعسكرية والمالية، لكن العام الذي شهد ثورات الربيع العربي، وسقوط أنظمة عربية بعينها، وتساقط أنظمة أخرى، كان له أكبر الأثر فى زعزعة هذه العلاقة، وتراجع وتيرتها، لاسيما الثورة السورية، والدفاع المستميت الذي تبديه إيران تجاه النظام السوري، فيما خاب أملها في موقف حماس من الأحداث، حيث لم تبد موقفاً واحداً، من قريب أو بعيد، يشفي غليل حكام طهران تجاه الأحداث السورية، أسوة بما فعله حزب الله.

حدثان مهمان عاشتهما العلاقات الإيرانية الفلسطينية في الأيام الأخيرة، سيتركان أثراً أساسياً على تراجعها بالضرورة:

1- غياب قيادة حماس السياسية في قطاع غزة عن احتفالات يوم القدس العالمي الذي يقام سنوياً في الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، فيما حرصت على حضور والمشاركة فيه بكثافة طوال السنوات الماضية.

2- اللغط والإرباك الذي أحدثته دعوة إيران لكل من السلطة الفلسطينية وحكومة حماس بالمشاركة في قمة دول عدم الانحياز التي أقيمت في 30 أغسطس 2011 في طهران، وما تسببت به من إثارة لموضوع الانقسام

الفلسطيني من جديد.

لكن لا يمكن مناقشة الآثار المترتبة على هذين الحدثين، وتراجع الدور الإيراني على الساحة الفلسطينية، دون الرجوع إلى خلفية هذا الدور أصلاً، مع الأهمية الفائقة التي توليها إيران للساحة الفلسطينية، من خلال القوى المسلحة، وتحديداً حركتي حماس والجهاد الإسلامي، لما لهذه البقعة الجغرافية من أثر إيجابي في نفوس الفلسطينيين والعرب، وما قد تحصده إيران من ثمار إيجابية على صورتها في الرأي العام الفلسطيني والعربي.

## الاختلاف بين حماس وإيران

لعل حالة البرود الأخيرة التي أحاطت بعلاقة حماس وإيران، تشير إلى أن بدايات التأسيسي لها لم تكن جذرية، بعكس العلاقة مع حزب الله أو الجهاد الإسلامي، مما يستدعي تناولاً موضوعياً يخاطب العقل بلغة تحليلية ضمن حسبة موضوعية،في ضوء وجود اختلافات مفصلية بينهما، بما لا يجعلها ضمن صيغة التابع والمتبوع، لاسيما وقد أثبتت تطورات الأحداث أن تحالف حماس الإستراتيجي مع إيران، ورقة بيدها تأتمر بأوامر مرشد ثورتها،هي من باب الوهم والتضليل لغايات سياسية، لأنه إن كان الأمر كذلك، فما الذي يدعو لوجود الاختلافات العديدة بينهما، ومن أبرزها:

1- التباينات في علاقات حماس الإقليمية عما يربطها بإيران على النحو

التالي:

تربطها علاقات وثيقة بمختلف الدول العربية، بصورة معاكسة تقريباً لعموم السياسة الإيرانية، وعلاقتها مع السعودية تتصف بالإيجاب، في حين هناك توتر غير خفي بين الرياض وطهران،ارتباط وزيارات للحركة مع القاهرة، رغم اتسام العلاقات الإيرانية المصرية بالجمود، والتراشق الإعلامي أحياناً قبيل سقوط النظام السابق، علاقات إيجابية بين حماس ودول قطر والبحرين والكويت واليمن، في حين تعيش هذه الدول حالة من التشكك والحذر الشديد مع إيران، إذا كانت حماس ورقة هشة بيد طهران،فلماذا كانت أول حركة سياسية تدين بشدة إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين،وتعتبره اغتيالاً سياسياً بامتياز،رغم الموقف الإيراني المعروف منه، واعتباره الخصم اللدود لها، مما يدلّل بصورة موضوعية على وجود اختلافات جوهرية تجعل من سياسة كل منهما كياناً منفصلاً عن الآخر.

2- يتبنى إعلام حماس سياسة مغايرة تماماً عن سياسات وتوصيفات وتحليلات الإعلام الإيراني فيما يخص الشأنان العراقي والأفغاني، وعمليات المقاومة فيهما، بصورة تعزز الاختلاف الكبير بينهما بهذا الصدد، فإذا كانت حماس ألعوبة بيد نظام الملالي، فلماذا يمجد إعلامها الرسمي الناطق باسمها المقاومة العراقية، وتحتفي بأخبارها وإنجازاتها ضد الاحتلال الأمريكي في العراق، فيما تنظر إيران إليها على أنها

**إرهاب من صنع تنظيم القاعدة؟**

**3- أدانت حماس بصورة رسمية عمليات تهجير وقتل واعتقال الفلسطينيين في العراق، وأشارت في غير موضع إلى انزعاجها الشديد من قيام ما وصفته بجهات معلومة بذلك، وهو ما فُهم على أنه إدانة غير مباشرة لأذرع إيرانية هناك.**

**4- تلبية حماس لدعوة السعودية بسرعة لتوقيع اتفاق مكة مع فتح عام 2008، وهي المناقضة لإيران، وتوقع المراقبين أن تعمل على إفشال الاتفاق، كهدية تقدمها لطهران ودمشق .**

**5- حماس تعتبر فرعاً أصيلاً من جماعة الإخوان المسلمين السنية، الموجودة تاريخياً قبل قيام ثورة الخميني عام 1979 بأكثر من نصف قرن تقريباً،وبالتالي يغدو الحديث عن نشأتها في المحضن الإيراني ادعاءً غير منصف بناءً على وقائع التاريخ والجغرافيا كما شكلت دول الكويت والإمارات والأردن محاضن الولادة والنشأة والتربية الدعوية لقيادات المكتب السياسي الحاليين،ولم يثبت أنهم قاموا قبيل إعلان الانطلاقة بنسج أي من أشكال العلاقة مع إيران،أو القيام بزيارات مكوكية أو بروتوكولية إليها، أو سفاراتها المفتوحة في الدول العربية.**

**تمتلك إيران أذرعاً ضاربة، وروافع تنظيمية وعسكرية داخل فلسطين كالجهاد الإسلامي، وخارجها على الكتف الشمالي لإسرائيل كحزب الله، قادرة على تنفيذ رؤاها في الوقت والزمان والتكتيك المطلوب، فضلاً عن**

وجود حليف مساند كسوريا له نوافذ حدودية مطلة على إسرائيل، وبالتالي لا حاجة ماسة حثيثة لها لمربع حماس كعنصر ضغط وحيد.

## حماس مابين تركيا وإيران

المدخل إلي الشرق هو القضية الفلسطينية،وتركيا هي أحدي القوي الإقليمية المؤثرة في أحداث المنطقة بحكم الامتداد الجغرافي الطبيعي وبحكم العلاقات التاريخية والروابط المشتركة ، وفي ظل حكومة رجب طيب أردوغان التي تمثل حزب العدالة والتنمية الإسلامي علي عكس الحكومات العلمانية السابقة التي كانت تتجه نحو تعزيز العلاقة بالكامل بالغرب ، أردوغان وحزبه ذو الجذور الإخوانية يحاول ممارسة سلطة ممزوجة بين العلمنة الواقعية التي ترضي الغرب والمؤسسة العسكرية التركية من جانب والأسلام الشكلي للحزب بما يرضي جمهوره العريض وحافظت حكومة أردوغان علي العلاقات الوثيقة بإسرائيل تخللتها بعض الأزمات واستفادت من الأخيرة في النواحي العسكرية والزراعية والاقتصادية ولا يمكن أن تنتهي هذه العلاقة لمجرد حدوث حادثة أو توثر جزئي ، لكن تركيا تقول أنها تستند في معاقبتها لإسرائيل الي المواثيق والقوانين الدولية وصوت الشارع التركي الذي يغلي غضباً وحنقاً علي إسرائيل إزاء مقتل المواطنين الأتراك علي متن قافلة الحرية المتجهة إلي غزة المحاصرة .

العلاقات بين الجانبين تركيا وإسرائيل كانت وطيدة للغاية حتى مطلع

هذا القرن ورغم أنها مرشحة اليوم للأسوأ لكن لا تلوح في الأفق بوادر حرب حقيقية بين البلدين، ولقد كانت تركيا من أوائل الدول التي اعترفت بإسرائيل بعد قيامها بعام واحد بهدف التقرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستعانة بها في مواجهة التمدد السوفيتي الذي كان يرغب في اقتطاع بعض الأراضي التركية،فضلا عن السيطرة على بعض المضايق التي توصل الدبّ الروسي إلى المياه الدفيئة .

فكلاهما إسرائيل وتركيا بحاجة إستراتيجية للآخر ،وهناك اتفاقية تعاون استراتيجي في المجال العسكري منذ عام 1996،بل وتشارك إسرائيل بصفة مستمرة حتى عام 2008 في مناورات نسر الأناضول التي تجريها تركيا على أراضيها بمشاركة القوات الأمريكية وبعض دول حلف الناتو الأوروبي.

وأغلب ما يمكن استقراءه في رد الفعل التركي إزاء إسرائيل هو تجميد العلاقات الدبلوماسية التي لن تتيح عودة السفير التركي إلي ممارسة مهامه في إسرائيل دون اعتذار إسرائيلي رسمي واضح عن مجزرة السفينة التركية ، الاتجاه التركي بعد كل أزمة هو وقف العمل باتفاقات أو تجميد العلاقة في النواحي العسكرية كإلغاء أواستبعاد إسرائيل من ثلاث مناورات عسكرية تقام في تركيا منها نسر الأناضول 2010،أو تجميد نواحي تقنية واقتصادية كمشروع الطاقة الروسي دون قطع العلاقة الكاملة بإسرائيل ، لكن هذه المرة الأزمة أعمق بما ينذر

بتفسخ العلاقة بين تركيا وإسرائيل .

رغم ذلك يجب الانتباه إلي أن حاجة تركيا كبيرة لإسرائيل كعلاقة إستراتيجية تطويرية وكمدخل للاتحاد الأوروبي وتدعيم التحالف مع واشنطن ، فالخشية التركية ليس من الساسة في إسرائيل فقط بل من تحريض المؤسسة العسكرية ضد حكومة أردوغان بالإضافة إلي تجنيد اللوبيات الصهيونية حول العالم والآلة الإعلامية الضخمة للتحريض علي تركيا وتأليب أعراق الأرمن والقبارصة والأكراد وفي المقابل فإن حاجة إسرائيل لتركيا أمنية لن تتنازل عنها إسرائيل أو تضحي بها كجزء في تحالف إيراني تركي سوري مع المنظمات الفلسطينية المقاومة وهذا يخل بالإستراتيجية الأمنية لإسرائيل التي تعمل علي تحيد تركيا أو جعلها في صف التحالف الغربي ومع ذلك تستطيع إسرائيل التخلي عن تركيا أو علي الأقل التأثير علي الاستقرار الأمني في تركيا عبر تعزيز جبهة التمرد الكردي في الجنوب والتحريض علي الانفصال عن الأراضي التركية ، كما أنها يمكنها التحريض علي حكومة أردوغان سياسياً.

تعمل أمريكا والاتحاد الأوروبي على الحد من تفاقم الأوضاع أو الوصول إلي القطيعة الكاملة وهذا واضح من تدخل أوباما مباشرة في الأزمة والعمل علي إصلاح القطعية بين تركيا وإسرائيل من جانب والوصول ، وتشجيع تقارب حماس وإسرائيل من جانب آخر تقوم علي حزمة متكاملة ترفع الحصار الإسرائيلي في نفس الوقت تضمن حماس

جانب الأمن علي الحدود وتطلق سراح الجندي شاليط ، وحتى إن لم تتحقق الحزمة المقترحة كما نشرتها مجلة التايم لمارثن اندك السفير الأمريكي السابق لدي إسرائيل ، لكن بأي حال لن تجد إسرائيل مفر من تخفيف الحصار علي الفلسطينيين في غزة في ضوء تصاعد المطالب الدولية وكخطوة نحو إرضاء تركيا الغاضبة،وعلي الأقل فان الدور التركي الذي رجع علي الدماء التي سالت في سفينة مرمرة المتجهة نحو غزة المحاصرة كان اعلي الأصوات التي تتحرك عملياً نحو المطالبة برفع الحصار عن غزة وحكومة حماس وان كان لا يتوقع أن يرفع الحصار كلياً لكنه سيخدم أجندة حماس السياسية ولو مؤقتا .

خطاب أردوغان في البرلمان الذي عول عليه الكثيرون وخاب ظنهم لم يحقق ما تطلعت إليه الشعوب الإسلامية وان كان أظهر أردوغان بصورة سوبرمان المعادي لإسرائيل في نظر أهل السنة المسلمين، لكن الفعل هو الذي يحدد صدق التصريحات، خطاب أردوغان كان شديد اللهجة إعلاميا بخصوص إسرائيل لكنه لم يحمل سيناريو عملي لمهاجمة إسرائيل أو معاقبتها عسكرياً كما تعهد في حال لو قامت إسرائيل بمهاجمة السفينة التركية ، وقد حدثَ الهجوم الدموي علي قافلة الحرية لكن لم تحصل رد الفعل العسكرية لأردوغان.

يعد بعض المراقبين خطاب أردوغان الذي اظهر به عداوته لإسرائيل اختبار كبير لأردوغان في المعركة المقبلة مع العلمانيين العسكر

الرافضين لاستفتاء تعديل الدستور في 12 سبتمبر المقبل لأجل الحد من نفوذ القضاء والجيش، وهما معقلا أنصار العلمانية المناهضين للحكومة. تمرير التعديلات الدستورية سيعزز من قبضة حزب العدالة والتنمية على السلطة، بينما تقول الحكومة إنها تهدف من ورائه إلى الوفاء بمعايير عضوية الاتحاد الأوروبي وتعزيز الديمقراطية ، لكن الساسة العلمانيين والجيش متخوفين أن التعديلات الدستورية ستقوض المبادئ العلمانية لتركيا ، وتتردد تكهنات نحو قيام المدعي العام باحتمال قيامه بمحاولة جديدة لحظر حزب العدالة .

من الإنصاف التريث لنري وجهة نظر أردوغان المقبلة لكن من الخطورة التعويل علي الموقف التركي الرسمي وإبرازه بصفة المنقذ لأهل فلسطين رغم معرفتنا بالشعب التركي وحبه للقضية الفلسطينية ودعمه لها ، والعيب الذي سقطت فيه حماس ومازلت هو أنها تضخم اللاعبين ممن ترغب في التحالف معهم ثم سرعان ما تسقط مراهناتها وتخسر ولنا تجربة في الموقف القطري والروسي والإيراني عبرة والسؤال هل حماس ألعوبة في أيدي إقليمية وأخري دولية لتكون بهذه السذاجة ؟ لا ننسي أن تركيا الرسمية لم تستقبل وفد حماس بعد زيارة الأخيرة لتركيا حين فازت الحركة في الانتخابات التشريعية 2006 واقتصر الاستقبال علي مستوي قيادة حزب العدالة ، فالحكومة التركية كانت تري نفسها علي مستوي واحد بين حماس وفتح ، وتدعو إلي

المصالحة بينهما والدور التركي لم ينشط فعلياً إلا بعد حرب غزة الأخيرة نهاية 2008 ، وزيادة التعاطف الشعبي مع أردوغان جاء بعد انصرافه غاضباً من مناظرة جمعته بالرئيس الصهيوني بيرس في مؤتمر دافوس الشهير بداية عام 2009 تلاها أزمة السفير التركي في تل أبيب الذي تعرّض لإهانة متعمّدة من نائب وزير الخارجية الإسرائيلي ليبرمان الذي يقود تيار مناوئ لتوطيد العلاقات بتركيا والتعويل عليها ، لكن رد أردوغان في الأزمة كان هادئاً، واكتفى بمطالبة إسرائيل بالاعتذار فقط وكان له ذلك .

وعلينا إن نتذكر أن تركيا تعيش حالة من التناقضات في التركيبة السياسية فهي لن تفعل للفلسطينيين الكثير في ضوء الالتزامات الدولية ولا يمكن تحقيق اختراقات سياسية دون الرجوع للولايات المتحدة وحلفاءها لكن تركيا الباحثة عن المجد والإمبراطورية ستكون أكثر ذكاء في تحقيق توازي بين مصالحها السياسية وخدمة القضية الفلسطينية ولن يكون مستغرباً أن تحاول حكومة أردوغان العمل جاهدة لأجل حصول حماس علي اعتراف دولي بحقها في المشاركة في الحكم والمفاوضات النهائية .

تركيا التي كانت مستميتة لأجل الانتماء للاتحاد الأوروبي طوال العقود الماضية ، أصبحت في عهد أردوغان أكثر إدراكا لصعوبة تحقيق ذلك ، ولكن رغم تدني المؤشرات فهي تحافظ على دورها في حلف الناتو

الصليبي الذي تتزعم قيادته اليوم في أفغانستان .

وتتجه لمنافسة الأدوار الإقليمية وإبراز تركيا كمنافس ولاعب استراتيجي في الشرق ينافس المصالح الأوروبية والحضور الشيعي الإيراني أصبح واقعاً لذا ليس غريباً قيام تركيا بالتوسط فى مفاوضات بين باكستان وأفغانستان أو سوريا وإسرائيل أو إيران والبرازيل في ملف تبادل اليورانيوم، كذلك تبدي تركيا استعدادها للتوسط بين حماس وفتح أو حماس وإسرائيل لمزيد من المقاربات نحو تحريك ملفات هامة كالحصار والمفاوضات.

أرادت تركيا من تعزيز علاقتها بالشرق وضع رجِل ثقيلة لها تخدم الاقتصاد التركي المتنامي والسياسة التركية التي تتطلع نحو بناء إمبراطورية تركية تمتد من الشرق إلي أسيا الوسطي ، وقد حققت نجاحا في المنطقة في عهد أردوغان بلا شك فهي وقعت سلسلة اتفاقيات سياسية واقتصادية مع دول هامة في المنطقة خاصة سوريا والعراق وإيران ودول الخليج العربي لكن ماذا سيحقق أردوغان للفلسطينيين؟! بلا شك الدور التركي بقيادة أردوغان يسعي لتحقيق الكثير بما يعزز شعبية تركيا وحكومتها ويقوي حضور أردوغان في الانتخابات الداخلية في 2011 لكن السؤال الكبير هل يملك أردوغان أوراق عملية للتأثير في مجري القضية الفلسطينية أو حتى رفع الحصار المضروب علي غزة أو الدخول في مواجهة مع دول الاعتدال بالنيابة عن حماس ؟! ثم مؤشرات

قليلة جداً تقول نعم وثم مؤشرات كثيرة جداً تقول أن تضخيم الدور الرسمي التركي ليس من مصلحة القضية الفلسطينية ، وليس من مصلحة تركيا خسارة الجميع لمصلحة غزة لكن من أهم فوائد دخول تركيا علي خط غزة بالنظر إلي مصلحة حماس سيجعل من تركيا أداة سياسية لحماس دولياً وينافس عملياً الدور الشيعي الإيراني الذي خطف الأنظار لسنوات وإيران فهمت من التدخل التركي وعودته علي سفينة مرمرة أنه تهميش جاد لدورها في القضية الفلسطينية ومس لصورتها الإعلامية ، لذا هي تحاول البحث عن مخارج إعلامية وإرسال سفن مشابهة لما قامت به تركيا، لكسب مزيد من الإعلام وإعطاء الدور الإيراني أهميته من غير تصادم مباشر مع إسرائيل بل قد يكون حدوث تصادم محدود مصلحة إيرانية مطلوبة .

النظام الإيراني يخشي أن تصبح حماس في الحضن التركي السني الذي تعزز حضوره السياسي في غزة ، هذا يعني أن سنوات من العمل الإيراني ستذهب هباءاً منثوراً ولن يكون مستغرباً أن تقوم إيران بوضع حماس في حجمها الأصلي تحت الضغوط المالية والسياسية باعتبارها الممول الرئيسي لحكومة غزة وجناحها العسكري ، وقد تقوم إيران بوضع حماس في تعاملها مع طهران علي المحك وتطالبها بمطالب حقيقية تختبر مدي جدية حماس في علاقتها مع طهران هذا يعني أنه لربما تتجه علاقة طهران بحماس لتدهور ملحوظ أو تأزم سياسي .

حماس اليوم في أسوء حالتها ، وهي تعيش السوء ، والمؤشرات تتجه به في ظل الضغوط الداخلية والخارجية إما الرضوخ لضغوط تحقيق المصالحة وعودة عباس دون الإخلال بمطالب حماس السياسية ومشاركته الحكم ، أو الاستمرار في حكم غزة والبقاء علي علاقة طهران وكسب الكثير من الحوافز الإيرانية وفي حماس مهتمين بالدور التركي لأبعد حدود بعد سقوط مراهنتهم علي الدور الرسمي العربي وليس هناك تصور واقعي يمكن استنتاجه لزيارة عمر موسي لغزة باستثناء الاعتراف بحكم حماس واقعاً ، ثم شيء حدث يجعل حماس أشد فرحاً بأردوغان الذي حررها جزئياً من الطوق الإيراني المطوق لعنقها ، الدخول التركي يحاول إخراج حماس من عنق الزجاجة الدولية ، وستجد تركيا نفسها مطالبة بحث الطرفين فتح وحماس علي المصالحة كي لا تتهم تركيا بانحيازها المباشر لمطالب حماس في غزة ، وهناك رؤيا حركية يمكن استنتاجها تتجه نحو عمل توازن مابين تركيا وإيران في العلاقة ، حماس تقاوم الضغوط الإيرانية الشديدة وسلطتها في غزة مرتبطة بأموال إيران وهذه الأموال لن تكون مطلقاً دون شروط ،ولتخفيف حدة الاعتماد علي الأموال الإيرانية اتجهت حماس في غزة إلي تعزيز نظام الضرائب علي الفلسطينيين لتعزيز صمود حكومتها لتخفيف حالة الاعتماد علي إيران .

يقول المراقبون أن حجم الفساد المالي وان كان أقل من سلطة عباس وعرفات لكنه يزداد مع اتساع حجم الحركة والتوسع الحكومي ، وأن هناك حوالي عشرين قضية فساد كبيرة علي الأقل تم رصدها في دوائر حكومة حماس ، ثم معاقبة بعض مرتكبيها دون المساس بصورة حماس الإعلامية ، لكن يعزو البعض زيادة الفساد إلي ضعف الرقابة المالية والداخلية في الحركة وبالعودة إلي المربع الأول : الاتجاه نحو تعزيز العلاقة بتركيا التي يبدو أنها أخذت علي عاتقها توفير غطاء سياسي لحماس في السياسة الدولية والاعتراف بها كشريك هام في عملية السلام التي تتردد حماس في الدخول له دون ضمانات حقيقية ، سيكون هذا المطلب مكلف باعتبار أن تركيا لن توفر بديل مالي لحماس وتغيير وجهة حماس السياسية مرتبط بتحقيق الاستقرار المالي .

الدور التركي وان كان ليس بمقدوره تجاوز الالتزامات الدولية ولا مجلس الأمن الغربي ، لكن اهتمام حماس بالدور التركي والاقتراب منه يتزايد في ضوء انعدام الخيارات العربية وارتفاع الفاتورة السياسية لإيران مع زيادة حاجة حماس للمال والغطاء السياسي، فالدور التركي سياسياً يضع محور الاعتدال العربي في أزمة ويوفر غطاء دولي للحركة ،وان كان تهمش الدور الإيراني جزئياً مفيد في نظر حماس كرسالة سياسية مبطنة لطهران بتوفر بدائل سنية موازية لطهران، لكن هذا لن تقبله إيران الشيعية بأي حال فهي ترفض إضعاف صورتها الإعلامية ولا

نفوذها المتزايد في غزة ، ولن ترضي بأن تأخذ حماس أموال دون مقابل وتكلفة سياسية تدفع لطهران وأخري تكلفة شرعية تخدم فتح باب التشيع في غزة ، هذا يعني أن طهران قد تضع حماس أمام مفاصلة مابين قبلة تركيا السنية التي يمثلها أردوغان والتي لن توفر سوي دعم دبلوماسي وسياسي أو مالي جزئي يخدم البلديات أو نفقات تشغيلية طارئة فقط ، أو المضي في الولاء لطهران التي تضخ الأموال وتغطي أغلب النفقات الحكومية والسلاح والتدريب العسكري لمنظمات المقاومة خاصة حماس والجهاد الإسلامي ، مما يعني أن إيران تستطيع إضعاف حماس مالياً وسياسياً عبر بوابة طهران وسوريا وحزب الله وهذا ماتتحسب له حماس وتخشاه.

## حماس وحزب الله

ظلت العلاقة بين حزب الله وحماس بعد الأزمة السورية رهينة الشائعات والوقائع وبقيت الحركة لسنوات مضت جزءاً لا يتجزأ من المحور الإيراني- السوري، أو ما يعرف بمحور الممانعة والمقاومة لكنها مع احتدام الأزمة السورية بدت وكأنها تخرج من محورها في الإتجاه المعاكس، حيث كثر الحديث عن افتراق وصل إلى حدّ الكلام عن طلب حزب الله من حركة حماس مغادرة معقلها في الضاحية الجنوبية لبيروت لكن اللقاء الذي جرى في بيروت بين مسؤولين من الجانبين

ألغى رواية الخلاف بينهما ونفى الشائعات فقد نفى مسؤول الحركة في لبنان علي بركة، بعد اللقاء إقفال مكاتب حماس في بيروت، مشيراً إلى أن هذه الشائعات تروجها جهات مرتبطة بالكيان الصهيوني من أجل زرع الفتنة بين فصائل المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وأن حركة حماس ستبقى على نهج الجهاد والمقاومة، وأن علاقة حماس بحزب الله ليست علاقة شكلية وكان مقر حماس قبل الأزمة السورية في دمشق ومصيفها في إيران خرجت حماس من سورية، لكنها حتى اللحظة لا تزال تبقي على اتصالاتها مع حزب الله، رغم ما قيل أخيراً عن أدلة لدى الحزب على تدريب حماس لجماعات مسلحة في سورية، الأمر الذي نفاه بركة موضحاً أنها إشاعات لتشويه موقف حماس، قائلاً لقد نفينا هذا الأمر أكثر من مرة، والحركة ليست طرفاً في الأزمة وهي لا تقاتل في سورية، ولا تقاتل خارج فلسطين أصلاً

ولم يكن اللقاء بين حماس وحزب الله يوماً حدثاً استثنائياً، فلطالما كانا معاً في كل ما مرا به، لكن الأمر بعد سنتين من الأزمة السورية أصبح مختلفاً،وأصبحا فجأة في بعض الأحيان طرفي النقيض لمشروعين متضادين لا يلتقيان إلا بحول الله وقوته أو على الأقل هذا ما يصوره البعض.